



27192 - شرح حديث (الشؤم في المرأة والدار والفرس)

السؤال

ما المقصود في الحديث الذي يقول إن هناك فأل شر في المرأة والحسان ؟ هل المقصود أنه يوجد الشر في المرأة والحسان على العموم ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الثابت في السنة هو النهي عن التشاؤم - التطير - والتحذير منه ، والإخبار بأنه شرك ، ومن ذلك ما رواه البخاري (5776) ومسلم (2224) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا عدو ولا طيرة ويعجبني الفأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ كَلِمَةً طَيِّبَةً " .

وروى أحمد (4194) وأبو داود (3910) والترمذى (1614) وأبن ماجه (3538) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطيرة شرك " وصححه الألبانى فى صحيح أبي داود .

وروى أحمد (7045) والطبراني عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك " قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال : " أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك " [حسن الأرناؤوط وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم 6264].

وروى الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس منا من تطير ولا من تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له " وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم 5435

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم :

(والتطير : التشاؤم ، وأصله الشيء المكره من قول أو فعل أو مرئي وكانوا يتطيرون بالطير فـإن أخذت ذات اليمين تبركوا بها ومضوا في سفرهم وحوائجهم ، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم ، فنفي الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم " لاطيرة " وفي حديث آخر " الطيرة شرك " أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاهما معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد) أ.هـ بتصريف .

هذا هو الأصل في مسألة التشاؤم (التطير) ، ثم جاءت أحاديث تفيد أن الشؤم قد يكون في المرأة والدار والفرس ، روى البخاري (5093) ومسلم (2252) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الشُّوْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالْفَرَسِ .

وروى البخاري (5094) ومسلم (2252) عن ابن عمر قال ذكروا الشؤم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إِنْ كَانَ الشُّوْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ ."

وروى أبو داود (3924) عن أنس بن مالك قال : قال رجل : يا رسول الله إنا كنا في دار كثيرون فيها عدتنا وكثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقال فيها عدتنا وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذروها ذميمة " والحديث حسنة الألباني في صحيح أبي داود .

وقد اختلف العلماء في فهم هذه الأحاديث والتوفيق بينها وبين أحاديث النبي عن التطير، فمنهم من حملها على ظاهرها ، ورأى أن هذا مستثنى من الطيرة ، أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكانها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة .

وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم ، وشأن المرأة عدم ولادتها وسلطتها لسانها وعرضها للريب ، وشأن الفرس أن لا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها ، وشأن الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه . (شرح النووي على مسلم) .

والصحيح أن الطيرة مذمومة كلها ، وأنه ليس شيء من النساء أو الدور أو الدواب تضر أو تنفع إلا بإذن الله ، فهو سبحانه خالق الخير والشر ، وقد يبتلي العبد بامرأة سيئة الخلق ، أو دار يكثر فيها العطب ، فيشرع للعبد التخلص من ذلك ، فرارا من قدر الله إلى قدر الله، وحذر من الوقوع في التشاؤم المذموم .

قال ابن القيم رحمة الله :

(وقالت طائفة أخرى : الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مسؤومة عليه. قالوا ويدل عليه حديث أنس "الطيرة على من تطير" وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكرور به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتظير به .

وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به ، فكان صاحبها غرضا لسهام الشر والبلاء فيتسرب نفوذها فيه لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكلا بجنة واقية وكل من خاف شيئا غير الله سلط عليه كما أن من أحب مع الله غيره عذب به ومن رجا مع الله غيره خذل من جهة وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلةها ، والنفس لا



بدأن تتطير ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره قال تعالى : " فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون " ولهذا قال ابن مسعود : " وما من إلا يعني من يقارب التطير ولكن الله يذهب بالتوكل " ... قالوا فالشئوم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصاً بمن تشاءم بها وتطير وأما من توكل على الله وخافه وحده ولم يتتطير ولم يتشاءم فان الفرس والمرأة والدار لا يكون شئوماً في حقه) .

ثم قال : (فمن اعتقد أن رسول الله نسب الطيرة والشئوم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذاته دون الله فقد أعظم الفريدة على الله وعلى رسوله وضل ضلالاً بعيداً... وبالجملة فإن خباره بالشئوم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاحتها ، وإنما غايتها أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وسكنها وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شئوم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يربيان الخير على وجهه ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً نذلاً يربيان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد ولاده أو غيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعادة والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ويقضى سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها وكل ذلك بقضاء وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبياتها المتضادة والمختلفة فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون الطيرة الشركية لون آخر)

وقال في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أهل الدار بالتحول عنها في الحديث الذي تقدم ذكره :

(فليس هذا من الطيرة المنهي عنها وإنما أمرهم بالتحول عنها عند ما وقع في قلوبهم منها لمصلحتين ومنفعتين :

إحداهما : مفارقتهم لمكانهم له مستقلون ومنه مستوحشون لما لحقهم فيه ونالهم ليتعجلوا الراحة مما داخلمهم من الجزء في ذلك المكان والحزن والهلع لأن الله عز وجل قد جعل في غرائز الناس وتركيبهم استقبال ما نالهم الشر فيه وإن كان لا سبب له في ذلك وحب ما جرى لهم على يديه الخير وإن لم يرد لهم به، فأمرهم بالتحول مما كرهوه لأن الله عز وجل بعثه رحمة ولم يبعثه عذاباً وأرسله ميسراً ولم يرسله معسراً فكيف يأمرهم بالمقام في مكان قد أحزنهم المقام به واستوحشوا عنده لكثره من فقدوه فيه لغير منفعته ولا طاعة ولا مزيد تقوى وهدى لاسيما وطول مقامهم فيها بعد ما وصل إلى قلوبهم منها ما وصل قد يبعثهم ويدعوهم إلى التشاؤم والتطير ، فيوقعهم ذلك في أمرين عظيمين :

أحدهما مقارنة الشرك .

والثاني : حلول مكروه أحزنهم بسبب الطيرة التي إنما تلحق المتطير فحملهم بكمال رأفتة ورحمته من هذين المكرورهين بمفارقة تلك الدار والاستبدال بها من غير ضرر يلحقهم بذلك في دنيا ولا نقص في دين) مفتاح دار السعادة 2/258

☒

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .